

العمارة التقليدية بمنطقة بسكرة:

القنطرة نموذجا

Traditional Architectural Heritage of the Biskra Region: El Kantara as a Case Study

أ.د. / هجيرة تمليكشت

معهد الآثار / جامعة الجزائر2.

البريد الإلكتروني: hadjira.tamelikecht@univ-alger2.dz

الملخص:

تعتبر منطقة القنطرة من قرى الواحات فهي تجمع بين طبيعتي التل والصحراء في مناخها وطابعها الجغرافي كما تشكل همزة وصل بين الشمال وجنوب وسط الشرق الجزائري باعتبارها نقطة عبور هامة بين التل والصحراء، وقد انعكس ذلك جليا على طابعها المعماري الذي شكل مزيجا بين العمارة الاوراسية والعمارة القصورية، ونظرا لأهميتها وتفردا تم تصنيفها كموقع تراثي وطني من طرف وزارة الثقافة. تشمل منطقة القنطرة على عدة قرى ريفية وهي: قرى قبائل بور عباس برافد الواد والتي تعرف بالدرشة السوداء، وقريتين أخريتين على صفتين واد القنطرة اليمنى واليسرى، حيث نجد بالضفة اليسرى قرى قبائل كركار او ما يعرف بالدرشة البيضاء، اما بالضفة اليمنى فنجد بها الدشرة الحمراء او الظهراوية ، وهي اقدم القرى الثلاث ومع ذلك تعتبر الاكثر حفظا على طابعها المعماري، وسوف نحاول ابراز خصائص العمارة التقليدية لهذه الدشرة، وقبل دراسة هذه الاخيرة يتعين علينا اولا التعريف بمنطقة القنطرة التي تنتمي اليها هذه الاخيرة.

الكلمات المفتاحية: بسكرة، القنطرة، العمارة التقليدية، الدشرة الحمراء.

Abstrat:

The kantara region is considered one of the oasis villages that combines the nature of the highland and the desert in its climate and geographical character, and it constitutes a link between the north and south-central east of Algeria as an important crossing point between the highland and the desert.

Its villages are also characterized by an architectural style of mud architecture and even, they have the same characteristics of the Aurasian village, as they include several rural villages, namely: the villages of the tribes of Port Abbas in the branch of the valley, which are known as the Black Dachra, and two other villages on the two sides of the valley of kantara, we find on the left bank the villages of the Karkar tribes, or what is known as the White Dachra.

As for the right bank, we find al-Dachra al-Hamra or al-Dhahrawiya, which is the oldest of the three villages, but it is considered the most preserved for its architectural character.

We will try, through our paper, to highlight the characteristics of traditional architecture in this region, with a focus on the features of Al-Dachra al-Hamra.

key words: Biskra, Kantara, Traditional architecture, Dachra al-Hamra.

موقع القنطرة (الخريطة 01):

تعتبر القنطرة بلدية وواحة، تقع في شمال ولاية بسكرة، والتي تبعد عنها بـ 54 كم. وهي مدينة صغيرة قليلة السكان. وتعتبر بوابة الصحراء (فم الصحراء) عبر مضيقها الجبلي. وهمزة وصل بين الشمال والجنوب. وهي تجمع بين طبيعتي الصحراء والتل في مناخها وطابعها الجغرافي¹.

اصل التسمية:

اطلقت تسمية القنطرة على المضيق والمنطقة ككل نسبة للجسر (الصورة 01) الرابط بين الهضاب العليا

والصحراء، والتسمية القديمة كالكيوس هركوليس= CALCEUS HERCULIS، فهي لاتينية اطلقت عليه من طرف الرومان نسبة للأسطورة التي تقول ان المضيق أنشئ بقدم هرقل². عرفت منطقة القنطرة بعدة تسميات، فالى جانب كالكيوس هركوليس أي ضربة قدم هرقل³، عرفت أيضا من قبل القبائل المحلية بالبوابة السحرية، وببوابة الصحراء وبفم الصحراء⁴. وكان لها حينذاك دور هام باعتبارها من المناطق التي يعبر عليها خط الليمس، وكان بها عدة تجمعات سكنية، وقد وجد بدشراتها الثلاث لقى أثرية.



الخريطة 01: موقع منطقة القنطرة.

عن: google cartographic

¹ - MOUSSI, W.; SLATNIA, K., 2019, p. 48.

² - حجاري، درية، 2017م، ص. 152.

³ - كثرت الشائعات حول الشرخ الموجود بين الجبال: فالأساطير العامة تقول أن ضربة سيف علي أو السيد عبد الله وهي شائعة مردودة لأن كليهما لم يأت إلى هاته المنطقة تاريخيا اللهم إذا أرادوا بذلك الفج تشبيهه بالسيف. والبعض يقول أن جنود الرومان هم الذين فتحوا هذا الشرخ لتسهيل المواصلات وهذا احتمال بعيد أيضا. والراجح أن الجيولوجيون يقولون أن هذا الشرخ هو ظاهرة طبيعية حيث كانت البحار قديما تغمر هاته المنطقة وبقيت آثار أمواجها على جبال القنطرة، فلما انحسرت المياه بدأ الماء يثير فعله لمدة زمنية كبيرة حتى حدث هذا الشرخ الذي أصبح يسما فجا.

⁴ - كبور، عمر، 2016م، ص. 09.

تاريخ تأسيسها:

بنيت القنطرة الرومانية من طرف الفيلق السوري (la légion syrienne) في القرن الثاني الميلادي، الذين جاء بهم الرومان في اطار المساعدة للجيش الروماني، كانت تمثل منفذا من المنافذ التي اتخذها الرومان من أجل التغلغل في الجنوب النوميدي أو كحصن لإيقاف هجمات قبائل الجيتول، ويروى أنها إتخذت كثكنة عسكرية للجيش الروماني القادم من بالمر بسوريا، وهي فرق من الرماة، وأنهم جلبوا معهم الزاد من التمر، فأكلوه ورموا نواه، فنتج عنه غابات النخيل على حافتي الوادي. وبعد الفتوحات الإسلامية، حلت بها إحدى بطون قبيلة بني هلال العربية، واستقرت بدشرة الخميس، وذلك عام 1048م. وترى مصادر أخرى أن أول من بنى الدشرة الحمراء هو أحمدي مختار بعد مغادرة بني هلال، ثم قدم إليها الشيخ أحمد بن سي ناصر مع ابن أخيه المدعو خليف ثم عبر (خليف) الوادي، وبنى به مسكنا له بعد نزاع مع أبناء عمه. ثم حلت عائلة المرابحة، واستقرت ببور عباس.



الصورة 01: جسر القنطرة. عن: صالح.

الصورة 02: منظر عام للقنطرة وتوزيع المداشر بها. عن:

MOUSSI, W.; SLATNIA, K., 2019, p. 49.

وتحدث عن القنطرة المقدم (دو لارتيغ=De Lartigue) قائلا: « واحة القنطرة أنشأتها بعض العائلات العربية، وبعض العائلات البربرية أثناء الحملة الهلالية عام 1048م. تتألف اليوم من 3 أعراش هي: أولاد سي علي محمد، وأولاد بليل، وأولاد امحمد. ولكل منها قريتها الخاصة بالواحة ». بعد الإحتلال الفرنسي للقنطرة قسمت السلطة الاستعمارية الفرنسية المداشر وأطلقت عليها أسماء جديدة هي الدشرة الحمراء (الظهراوية)، والقرافر سميت بالدشرة البيضاء، وبور (أوقبور) عباس في الجنوب اطلقت عليها تسمية الدشرة السوداء (الصورة 02). كانت هذه القرى محاطة بسور من الطين، كما كانت بها أزقة وأحواش تعرف بحوش عبدالله، وحوش الزرارقة، وحوش عبد الصمد، وحوش بن عمران وغيرها. كل حوش منها

يضم مجموعة من العائلات من نفس النسب أو نفس العشيرة. استوطنت القنطرة عائلات أمازيغية وعائلات من العرب⁵.

الدشرة الحمراء (الصورة 03): village rouge=Red village

❖ تشمل القنطرة على ثلاث قرى.

✓ قرى قبائل بور عباس برافد الواد المعروفة

ب: الدشرة السوداء.

✓ قبائل القراقر بالصفة اليسرى للواد المعروفة

ب: الدشرة البيضاء.

✓ قرى قبائل الظهراوي بالصفة اليمنى للواد

المعروفة ب: الدشرة الحمراء، وتعتبر أقدم القرى

الثلاث تقع على سفح الجبل، وتطل مرتفعاتها على

واد الحي، وبساتين النخيل، وتعود تسميتها بالدشرة

الحمراء الى العهد الفرنسي، وذلك نسبة الى لون

ترتبتها الحمراء⁶.



الصورة 03: منظر عام للدشرة الظهراوية "الدشرة

الحمراء". عن: KRID, O., 2020, p. 60.

موقع الدشرة الحمراء (الخريطة 02):

تقع الدشرة الحمراء شمال-غرب القنطرة، تتربع

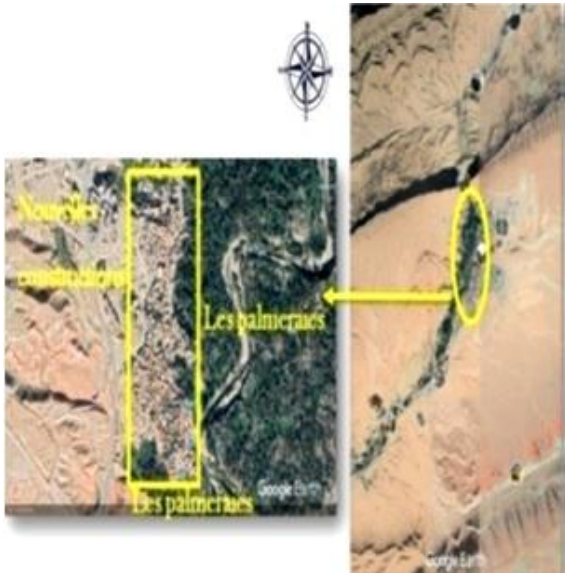
على مساحة 6 هكتار تقريبا.

✓ يحدها شمالا شعبة الدفالية بارتفاع

107.06م، وشمال-جنوب واحات النخيل

✓ وجنوب-شرق واد الحي، وغربا

التجزئة السكنية رقم 142.



الخريطة 02: موقع الدشرة الحمراء. عن: KRID, O.,

2020, p. 60.

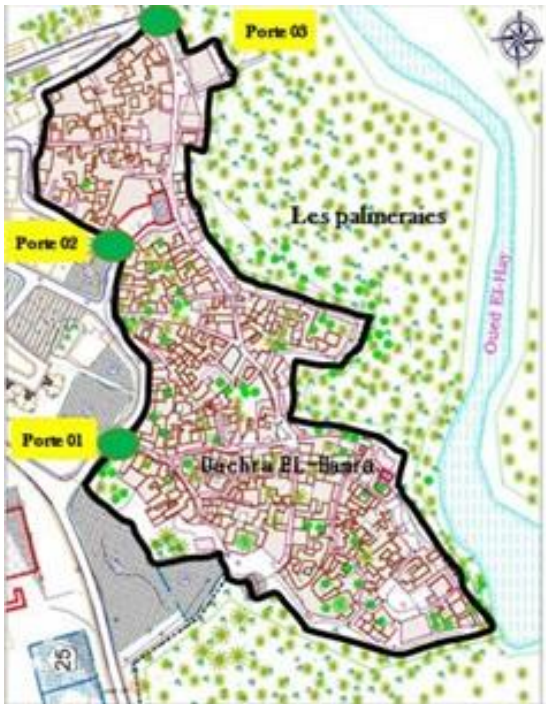
⁵- [http://fr.wikipedia.org/wiki/El_kantara_\(Biskra\)](http://fr.wikipedia.org/wiki/El_kantara_(Biskra))

⁶- CHELLI, N., 2007.

الوصف العام:

تأخذ هذه الدشرة نمط مجمع عمراني ذو شكل غير منتظم، تتكون من بنايات متلاصقة، وأماكن للعبادة، وساحات للترفيه، وتجمعات سكانية كثيفة متراسة، تتخللها شوارع، وأزقة ضيقة، ومسالك، ودروب تعرف محليا بـ: "زقاق"، ويتم الدخول اليها عبر ثلاثة مداخل رئيسية وهي محاطة بواحات النخيل.

مداخل الدشرة : يتم الدخول الى الدشرة الحمراء عبر ثلاثة مداخل رئيسية:



المدخل الأول: يوجد بغرب الدشرة يؤدي مباشرة الى

الساحة العمومية.

المدخل الثاني: يوجد بغرب الدشرة ايضا (هذان

البابان يؤديان الى الشوارع الخارجية المؤدية الى بسكرة ومركز القنطرة).

المدخل الثالث: يوجد بالشمال يؤدي الى الحي

التجاري⁷.

ساحات الدشرة: تشمل الدشرة الحمراء على ثلاث

ساحات عمومية خصص كل منها لممارسة نشاط معين من طرف ساكنتها، وهي:

ساحة الجمعة (الصورة 04): تعتبر المكان الأكثر

ارتدادا من طرف السكان، يجمعون فيها للترفيه وتبادل

اطراف الحديث.

ساحة الرحبة (الصورة 05): ينظم بها السوق الاسبوعي الخاص بمختلف التبادلات التجارية القادمة

من خارج الدشرة⁸، كما تشكل مركز للحياة الحضرية، والترفيه، والتجمعات، والإستراحة⁹.

ساحة النقرة (الصورة 06): تقع بالقرب من مدخل الدشرة، مخصصة لاستقبال الوفود او الضيوف

من طرف مشايخ وعقلاء الدشرة.

المخطط 01: يوضع تركز ابواب الدشرة الحمراء.

عن: KRID, O., 2020, p. 62.

⁷ KRID, O., 2020, p. 62.

⁸ Ibid., p. 63.

⁹ شلوق، فتيحة، 2015م، ص. 155.



الصورة 06: ساحة النقرة. عن:

KRID, O., 2020, p. 63.



الصورة 05: ساحة الرحبة. عن:

KRID, O., 2020, p. 63.



الصورة 04: ساحة الجمعة. عن:

KRID, O., 2020, p. 63.

الشوارع والزقاق: يتخلل الدشرة شارعين رئيسيين اجتتابيين، كما يتخللها شوارع ثانوية ودروب تعرف

محليا بـ: "زقاق".



الصورة 07: احد الشوارع الرئيسة الرابط بين المدخلين

الرئيسيين للدشرة يؤدي الى الدشرتين المجاورتين. عن:

<https://www.ebay.fr/itm/311656953924?mkevt=1&mkcid=1&mkrid=709-53476-19255->

الشوارع الرئيسية: وهي اجتتابية، تربط بين

المدخلين الرئيسيين للدشرة، تؤدي الى الدشرتين

المجاورتين (**الصورة 07**).

الشوارع الثانوية: عبارة عن دروب ضيقة

كثيرة، ملتوية ومتعرجة، تساعد على حجب الرياح

الباردة والحرارة وتجنب الزواجر الرملية، وغالبا ما

تنتهي بممرات غير نافذة تنتهي بالوحدات

السكنية، وتلتق هذه الدروب في مسلك عريض

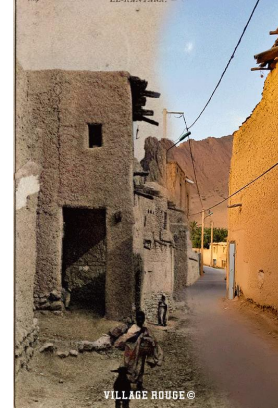
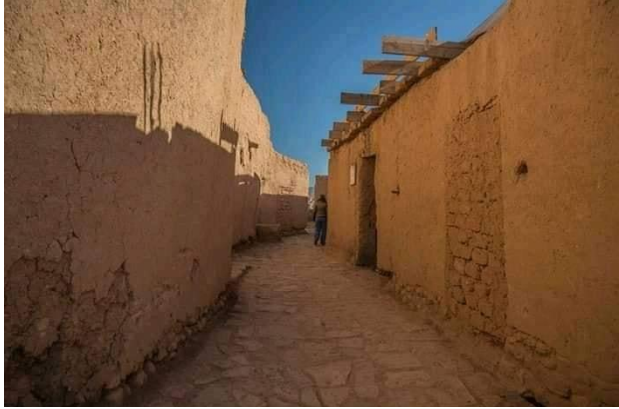
تكون في بعض الاحيان مسقوفة، مشكلة

ساباطات وتعرف بالسقائف، وتتوفر على دكات

للجلوس، تتوفر على الإضاءة والتهوية من خلال

الفتحات التي تتخللها¹⁰ (**الصورة 08**).

¹⁰- نفسه، ص. 154.



الصورة 08: شوارع ثانوية "زقاق" بالدشرة الحمراء. عن: .

<https://www.instagram.com/villagerouge/>
#biskr الفج #El_Kantara #village_rouge

معالم الدشرة الحمراء (الصورة الجوية 03):

المساجد: يوجد بالدشرة الحمراء عدد هام من المساجد لم يبق منها سوى عدد قليل¹¹.

مسجد سيدي احمد (الصورة 09): ينسب إلى الولي الصالح سيدي أحمد، أحد أجداد الدشرة

لكن يجهل تاريخه بالضبط.

الوصف العام:

✓ بني المسجد على نسق مساجد المناطق الصحراوية، كما يتميز بخلوه من عنصر المنبر والقبة.

✓ يتخذ شكلا مستطيلا يعلوه سقف مسطح على غرار سقوف معالم منطقة الاوراس كونه يلائم البيئة، يتم الدخول الى الصحن الذي يتخذ الشكل المستطيل عبر باب بالواجهة الشمالية-الغربية، ويحتوي الصحن



الصورة الجوية 03: اهم معالم الدشرة الحمراء. عن: حجاري، درية.

على بايين احدهما في الواجهة الشرقية يؤدي الى المئذنة، والثاني في الواجهة الشرقية يؤدي مباشرة الى الصحن حيث تتقدمه عتبة.

¹¹ من هذه المساجد : مسجد بن عواج، ومسجد أحمد بن ابراهيم، ومسجد الشيخ حشاني ومسجد سيدي الشيخ.



الصورة 09: منظر عام لمسجد وضريح سيدي

احمد والضريح على يمينه. عن: حجاري، درية.

✓ **بيت الصلاة:** تتخذ شكلا مستطيلا، طليت بالجير الأبيض تتخللها ثلاث بلاطات وثلاثة اساكيب، ويقوم السقف على دعامات من جدوع الأشجار تتخذ شكل حرف T، اما المحراب فيتوسط واجهة القبلة الواقعة في الواجهة الشرقية وهو بسيط خال من الزخرفة يعطوه عقد متجاوز.

المئذنة: تتخذ شكل هرم مبثور تقوم على قاعدة مربعة تنتهي في اعلاها بفتحات مثلثة الشكل، وهي غير منتظمة الاضلاع وهذا النوع من المآذن يعتبر طراز محلي لم نعهده من قبل في مناطق اخرى من العالم الاسلامي، وقد حاول فيها المعمار تقليد المآذن الهرمية مثل غرداية لكن يبدو ان امكاناته ومعارفه في فن البنات محدودة وتقليدية مما جعلها تبدو على شكل ابراج ملتصقة بجدار المبنى¹².

الأضرحة:

تتميز الدشرة الحمراء بكثرة اضرحتها وذلك على غرار باق المناطق الصحراوية، وتميزت عموما بشكلها المربع تعلوها قباب نصف دائرية، وهذا النظام التخطيطي تميزت به اضرحة مدن وقرى الجزائر المؤرخة بالعهد العثماني وأهمها:

✓ ضريح سيدي احمد.

✓ ضريح سيدي ناصر¹³.

✓ ضريح سيدي موسى.

ضريح سيدي احمد (الصورة 09): يقع بالقرب من المسجد ويقابله من الجهة الغربية، يتخذ شكلا مربعا تعلوه قبة نصف دائرية الشكل تعلوها ثلاث تفانيج تنتهي في اعلاها بهلال يحتضن نجمة، ويبدو من الخارج بنفس لون مباني المنطقة المتميزة باللون الاحمر، اما من الداخل فقد طلي بمادة الجير، وتتخلل جدرانه ثلاث نوافذ (كل جدار به نافذة)، اما الجدار الرابع به المدخل المؤدي الى قاعة الضريح المربعة تضم قبر الولي سيدي احمد.

¹²- حجاري، درية، 2017م، ص. 157.

¹³- حسب سكان المنطقة ان سيدي ناصر هو من اسلافهم الصالحين قدم من المغرب الأقصى.



الصورة 10: منظر عام لضريح سيدي ناصر. عن: حجاري، درية.

ضريح سيدي ناصر (الصورة 10): يعتبر اقدم الاضرحة بالمنطقة، ويقع عند مدخل الدشرة، يتخذ شكلا مربعا تعلوه قبة نصف دائرية الشكل محاطة في كل ركن من اركان المربع المحيط بها بشرفات مسننة من ثلاث درجات، طليت جدرانه الداخلية بمادة الجير، وقبالة المدخل نجد نافذة.

ضريح سيدي موسى (الصورة 11): هو اخ الولي الصالح سيدي ناصر ودفن بجانبه، فالضريحان متقاربان. يتميز بشكله الغير منتظم بنيت جدرانه الخارجية بمادة الطوب ذو اللون الاحمر، على غرار باق معالم الدشرة، اما من الداخل فطليت جدرانه من الاسفل بالجير الأخضر ومن الاعلى الابيض، ويتخلل جدرانه من الداخل حنيات جدارية لوضع الشموع والاعراض التي يأتي بها زوار الضريح للتبرك به، ويقوم السقف على دعامات من جذوع الأشجار¹⁴.



الصورة 11: منظر عام لضريح سيدي موسى. عن: حجاري، درية.

المساكن (الصورة الجوية 03): تتمثل في وحدات سكنية متلاصقة فيما بينها تقلل من المساحات والمسطحات المعرضة للشمس، وأحياء مغلقة موجهة إلى الداخل، المساكن الفردية موجهة إلى الداخل أيضا عن طريق الفناء الداخلي.

تتميز عموما في مظهرها العام بتراسها وتلاصقها، كما انها غير مرتفعة وان علت فهي ذات طابق (الصورة 12)، وقد اسست بالمواد المحلية، وتعلوها سطوح مسطحة (الصورة 13)، فعلى الرغم من بعض



الصورة 12: منظر عام لمسكن بطابق. عن:

اخبار سبع مقاطع-بكرة

@info7mgata3 Personnalité publique

الاختلافات البسيطة التي تميز بين كل مسكن وآخر، إلا أن كل وحدة منها، نجد بها نفس الوحدات المعمارية، فهي كلها مفتوحة نحو الداخل، أي نحو الفناء أو ما يعرف بالحوش الذي يوفر الهواء، والضوء، وأشعة

¹⁴- حجاري، درية، 2017م، ص ص. 159-160.



الصورة 13: منظر عام لمسكن بدون طابق. عن:
MOUSSI, W.; SLATNIA, K., 2019, p. 54.

الشمس، ومجال الحركة، وتجمع الأفراد، وممارسة النشاطات، وبها ما يسمى بـ"السقيفة" التي هي عبارة عن حجرة كبيرة مخصصة لاستقبال الضيوف، وكذا حجرات متعددة لإيواء أفراد العائلة، وهناك "الحوش" الذي هو ساحة كبيرة، وكذا فتحات بسقف بالحجرات قصد اضاءة المكان، وكذا وجود فتحات جانبية تتخلل الجدران على شكل مثلث مخصصة للتهوية مسماة "الطاق"، وهذا النمط المعماري في تخطيط المساكن، نجده في مساكن الاوراس كمنعة وغوفي (**المخطط 02**).



المخطط 02: أهم وحدات مساكن الدشرة الحمراء بتصرف. عن:
KRID, O., 2020, p. 65.

أهم مواد وتقنيات البناء: استعمل في تشييد معالم الدشرة الحمراء مواد بناء محلية وتقنيات بسيطة، حيث تمكن المعمار من استغلال كل ما يحيط به من مواد محلية واستغلالها في تشييد معالمه واصباغ الطابع المحلي عليها المتمثلة في:

الحجارة الكبيرة: استعملت في بناء الأساسات.

الطوب اللبن: استعمل في بناء الجدران والفواصل.

الطين: استعملت في تمليس الجدران وأعلى السقوف.

الخشب: استعملت في البناء جدوع وسعف النخيل المتوفرة بالمنطقة، واستعملت الجذوع، وفي الروافد الحاملة للسقف والأعمدة، إلى جانب فتحات الأبواب والنوافذ والسواكف والميازيب.

الجص: استعمل في تمليس الجدران الداخلية للمعالم سواء أكانت دينية أم مدنية.

الخاتمة:

تعتبر الدشرة الحمراء نموذج عن العمارة التقليدية المحلية، من خلال تركيبة الأبواب، وتوزيع الشوارع، وتنظيم المساكن. واستعملت مواد محلية في البناء، مما يدل على أنها حافظت على طابعها المعماري الخاص المنسجم مع الطبيعة التلية-الصحراوية، وقد انعكس ذلك جليا على عمائرها التي جمعت بين الطراز الريفي والصحراوي، وبالتالي فهي قرية واحة.

البيبلوغرافيا:

1. حجاري، درية، 2017م، العمارة التقليدية الريفية بالأوراس، القنطرة-غوفي-منعة نموذجا، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر2.
2. كبور، عمر، 2016م، المجتمع القديم بمنطقة القنطرة من خلال الكتابات والمخلفات الأثرية خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الأول والثالث الميلاديين، رسالة دكتوراه في الآثار القديمة غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر2.
3. شلوق، فتيحة، 2015م، مساهمة المواقع الأثرية والمعالم التاريخية في تطوير السياحة المحلية بمنطقة الزيبان، دراسة أثرية تنموية، رسالة دكتوراه في الآثار الصحراوية غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر2.
4. CHELLI, N., 2007, « El-Kantara, les gorges », in EAGB Biskra, Algérie.
5. MOUSSI, W.; SLATNIA, K., 2019, « Oasian berber architecture: the red village el kantara, Biskra », in International Journal of Human Settlements, 3, 2, pp. 47-57. <https://www.aneau.org/ijhs/Art/v3n2a04.pdf>
6. KRID, O., 2020, Revitalisation de l'habitat traditionnel ksourien, Cas ksar dechera Hamera-Biskra, Master département architecture non publié, université de Jijel. <http://dspace.univ-jijel.dz:8080/xmlui/handle/123456789/5955>
7. http://fr.wikipedia.org/wiki/El_kantara_Biskra